"As Safir" 2 23.02.2000

ثقافة

«مواستور» للبولوني ليزك مادزيك على «مسرح المدينة»

المسرحية بقيت في المختبر ولم تصل

من المسرحية (مروان عساف)

في ثلاثة عروض (الاثنين السادسة والنصف والثامنة والنصف والثلاثاء الثامنة والنصف) قدمت مسرحية Moisture للبولوني ليزك مادزيك، على خشبة مسرح المدينة، بسعة مائة مشاهد للعرض الواحد. هنا مقالة.

لا نص، بل مسرحية. عمل مسرحي في اربعين دقيقة للمخرج البولوني ليزك مادزيك، على خشبة مسرح المدينة. اختياري، كما أوحى فريق العمل، في تحديده عدد مائة مشاهد فقط للعرض الواحد. انيرت ادارة المسرح الى قسمة الصالة الى قسمين، في حين ترك لأعضاء الفرقة البولونية، تثبيت شبه خيمة فوق رؤوس المشاهدين اختزقها ضوء مسلط جاء في منتصفها.

لا نص، بل مسرحية. الصمت والشريط الموسيقي، بطلا العرض المسرحي البولوني. حرفة المسرحة اشد حضورا من حرفة الكتابة. لأن المسرحة كتابة. غير ان الابتعاد عن طرق المؤلفين الكتبيين افضى الى حضور مسرحية غامضة او شبه غامضة امام المسرحيين المختصين وغير المختصين الذين قصدوا مشاهدة المسرحية البولونية. استغراق في الافكار، بالاستناد الى مقولات غروتوفسكي. بيد ان الاخير اذا استغرقته الافكار الثرية في خلال تجربته الطويلة الماضية، اضحت الجمالية اوضح امام الاحاسيس بالرؤية الداخلية المليئة. المسطرة من قبل فريق العمل في مسرح المدينة. ذلك ان مفاتيح العرض قليلة جدا، بل نادرة. ولا علاقة لها بما طرحه غروتوفسكي الا في ما يتعلق بالطقس وعلاقته الشرسة بالمسرح. غير ان طقس ليزك مادزيك، ليس طقسا متجذرا في الضمير الجمعي ولا هو طقسا تحريضيا ولا تعليميا وليس ملذا. انه طقس يشبه آلة حلاقة، تجز حيثما تمر. ولكننا في هذه الاشارة الجوهرية، لا ننفي ان حلول الاخراج في حلول مطاوعة لبيئة محددة. وانه قدم كلحن صوري فني، منسجم ومتناسق مع ادواته، تتراكب في الموسيقى والحركة المطيشة، بالرؤية، بالاقناع المشدود الى نشيد شبه غاشوراتي، نشيد ايديولوجي يروي سيرة الحياة بين الولادة والموت وما بينهما من كسح استهلاكي مدمر، كما فهمت. لأن الآراء تباينت. اثر محاولات قراءة المعطى الداخلي للمسرحية البولونية. لم يفهم بعض استمر صامتا، ولم يفهم بعض آخر راح يعلق بسخرية على ما يراه يدور امامه في فضاء من الالتباس العميم.

نشيد اسود ـ ميتافيزيقي مسرحية (Moisture)، لوحة مشغولة بالشفقة على الذات، بالتحريك. كأنها مسرحية تحريك، لأن لا ابطال آدميين فيها، بل ان البطل هو الادوات، تلك الخارجة من دهني رأسين محبوسين في علبتين مضيئتين. الرأسان هنا، هما المولدان، لكل تلك الرؤى القاتلة والمتوقدة في آن. غير ان التوقد اكتفه نغمة هادئة بطيئة، طلبت حاجة زائدة في الحضور. ثمة هياج هستيري مضبوط في تلك اللوحات المتعاقبة. وثمة خوف هائل من التداعيات الجسدية ونوافذ العيون على العالم. الاخيرة، كأنها حراب مسنونة، حرضت ووخزت، قبل ان تتكسر الى رقصة عنيفة الاداء، مثلت معركة كبرى، لا رابح فيها ولا خاسر. لأن الجميع خاسر. هذا اتجاه انعكس في ثنايا الاحداث الابوكاليبسية. ذلك ان مشاهد يوم قيامة، هي عماد الطقس البولوني في المسرحية البولونية. موتى يرتفعون في الهواء، ناس بلا أذرع واقدام (مانيكينات)، يصبحون عراة، بعد ارتفاع البستهم عنهم في لحظة دراماتيكية، قامت على تقنية العاب الفرح الطفولية (لعبة الخيول في مدن الملاهي) (Moisture مسرحية مثاقفة، تقدم المفاهيم الثقافية على التنفيذ. كأنها تجرد وهي في طريقها الى ان تؤكد. مسرحية باللونين الابيض والاسود. الرمادي لا يحضر ابدا. غسل الماضي موضوع فيها. وحشو الراهن والمستقبل موضوع فيها. طرفان في معادلة عبثية مكلفة. انها اشبه بجهاز مملوء بالمعلومات. الاخيرة مخزونة وتخرج عند الطلب، بضربة واحدة، مقولبة، جاهزة. ولكنها مقلقة. سر من اسرارها، هذه، وسيلة مغرية، لكي يبقى الجو الخانق، الغامض، الملتبس، القاسي، العنيف، مع مشاهد العرض، ولو رفضه الاخير.

هذا مسرح تعويض عن التسيس. لأنه اقتراح حوار صعب بين جماعتين، جماعة العرض المسرحي المثاقفة، وجماعة جمهور الصالة الذي تنعكس فيه كل ظواهر الواقع ومشكلاته. غياب احد هذين العنصرين ينفي الظاهرة المسرحية. وعلى الرغم من تمرد جمهور الصالة على اقتراحات العرض، فإن التمرد هذا، بقي سمة تؤكد حضور الطرف الآخر في اللعبة المسرحية. بيد ان السؤال الاساسي بقي يدور حول انتاج المسرحية. باعتبار ان الورقة الموزعة عند باب المسرح، اعادت نشر مقتطفات مقالات عن المسرحية نشرت بين العامين ١٩٧٨ و١٩٨٤، المسرحية اذا من «ريبرتوار» ليزاك مديزاك. كأنها لا تعبر عن ما آلت اليه تجاربه، او كأنها توحي بأنه توقف عن الانتاج منذ اكثر من ١٦ سنة. شريط الموسيقى لافت. وقعه جون كاساريك. موسيقى فضاء، موسيقى فضائية، تتداخل في القراءة الميتافيزيقية للواقع، التي بدت قراءة بيولوجية اكثر لحضور الانسان في حياة فانية.

Moisture تشبه صورة مأخوذة في ليلة خريفية، كل احزان العالم، مواجعه، فيها. اربعون دقيقة مناخ، بقيت عصية على الفهم، من جراء تخفيف حضور كل ما هو عام في المسرحية، من اعتباره قضية شخصية دافعة الى التوحد، بدل التعاضد. كسوة المسرحية من المبالغة استفزت الكثيرين، ونأت بهم عنها.

عبيدو باشا